مقدمة الطبعة الثانية

أضيف الى هذه الطبعة الثانية موضوعان :

أحدهما : فى التطبيق الاشتراكى المـــاركسى .

وثانيهما : ملحق يعرض راى السيد جمال الدين الأفغانى فى الشيوعية والاشتراكية فى زمنه : فى أوروبا وفى الشرق ، على نحو ما هو مذكور فى كتابه : « الرد على الدهريين » .

والموضوع الأول يكشف عن خداع الفكرة المـــاركسية الذى قد يبدو مصاحبا لبريق الزاوية الانسانية فيها ، ولتلك الدموع التى تذرفها هـــذه الفكرة من أجل « الكادحين » و « المعوزين » من العاملين فى سبيل رخاء الغير المستغل على هذه الأرض !!

ويوضح هذا الموضوع فيما لا يقبـــل الشك : أن مصـــادرة الأموال الخاصة ليست لمصلحة اقتصادية وطنية ولا لتحقيق عدالة اجتماعية بقدر ما هى تسلط وتحكم ممن يستولون على الحكم بطريق التخريب والانقلاب ، وهم فى انفسهم ضـــعفاء ، ان فى توجيههم أو فى سلوكهم . ومن أجـــل ذلك هم بحاجة الى سند أجنبى عن مجتمعهم يسندهم بالحديد والنـــار ضـــد مواطنيهم ممن يبدون معارضة أو تلكؤا فى الطاعة والولاء ، ويدربهم على أساليب الارهاب والتعذيب والتجويع لأفـــراد المجتمع باسم أمن الـــدولة وحماية الثورة !!

والحرية الاجتماعية وكذلك الحرية السياسية التى تتحدث عنها هذه الفكرة الخادعة .. اذا ما أممت الملكيات الخاصة فى سبيلها .. هى فى واقع أمرها تبعية جارفة للحزب الذى تمكن من السلطة ، وعبودية أشنع لرأس مالية الدولة التى تحكم وتتحكم وتملك وتســـتغل وتراقب دون رقابة عليها ، وتتصرف فيما تملك بارادة مستبد لا يعرف الله ولا الضمير الانسانى ولا المصلحة العامة ، ويعرف فقط ذاته ومصلحته الشخصية .

.... بينما الموضوع الثانى يعرض رأى سياسى مفكر مصلح لم يكن له هدف الا صلاح أمته الاسلامية واعزاز جماعة المسلمين ، ولاقى فى سبيل

ما رأى من أعوان الاستبداد وأنصار الاستعمار الغربى العنت والتشريد كما لاقى حتفه وهو فى دار الخلافة الاسلامية وبتدبير الخليفة نفسه ، تخلصا منه ومن آرائه الاصلاحية وهى آراء تعبر عن مبادىء الاسلام وأهدافه .

وقد تكون رأى جمال الدين فى الاشتراكية ان فى الشرق أو فى الغرب عن خبرة بأحوال الداعين لها وأغراضهم التى قنعوها بقناع الانسانية وهى تحمل معاول الهدم للمثل العليا فى جماعة الانسان وفى علاقة الأفراد بعضهم ببعض .

ولم يصف جمال الدين اتجاه الاشتراكيين فى الشرق والغرب بما وصف الا بعد رحلاته هنا وهناك ، والا بعد وقوفه على الأهداف الحقيقية لهذا الاتجاه بين الداعين له والمحتفين به .

واذا كان الكتاب فى جملته يصور نظام الغرب فى حكمه وتوجيهه ، وايديولوجية الشرق الماركسى فيما تدعو اليه وتحتمه فى مجتمع الإنسان وقيادته فى مواجهة الاسلام وضبط لحياة الفرد والمجتمع معا .. فانه يأمل من ذلك أمرين :

١ — أن يعنى المسلمون بدراسة اسلامهم كما يعنون بدراسة ما للغرب والشرق .

٢ — وأن يستقلوا فى حكمهم على ما يجب أن يأخذوا به كأساس لنظام حياتهم ، ويبعدوا انفسهم عند الحكم عن شهوات الحياة فى عبث الغرب فى ترفه ، وكذلك عن اغراء السلطة وشهوة التحكم فى مباشرة الشرق الماركسى فى قيادة مجتمعه .

وبذلك يصلون الى « انسانية » فى الحياة وفى الحكم معا ، والى مودة واخاء فى المعاملة والعلاقات على السواء ..

القاهرة ١٩٧٥

محمد البهى

* * *

مقدمة الطبعة الأولى

بين يدى هذا الكتاب

هزمت « **الصليبية الغربية** » شر هزيمة ، فى الحروب التى دامت قرابة ثلاثة قرون .... بين الغرب المسيحى والشرق المسلم ، منذ القرن الحادى عشر الميلادى .

وانتصر المسلمون فى الحرب ، واستعادوا بيت المقدس ، واستردوا الولاية على الشام ...

ولكن الصليبيين استفادوا من هزيمتهم ... بينما لم يستفد المسلمون من نصرهم !!

استفاد الصليبيون فى **دينهم ... ودنياهم :**

... استفادوا فى **دينهم** بحركة الاصلاح الدينى .. حركة **مارتن لوثر، وكالفن .. تحت تأثير ما عرفوه عن الاسلام من : الايمان برفع الوساطة بين الله والانسان .. والايمان بوحدانية الله .. وبحرية الفرد فى التفكير .. وبحقه فى الشرح للكتاب المقدس .**

.. واستفادوا فى دنياهم ، متأثرين باصلاحهم الدينى .. فى مقاومة الظلم القائم باسم الله ! واسم الكنيسة ! .. ومقاومة الضغط على حرية الفرد فى : تفكيره ، وتعبيره ، واختيار مجال معرفته .. ومقاومة الرق البشرى فى المجتمع الأوربى ، الذى كانت تباركه الكنيسة طوال القرون الوسطى ، ويمارسه الأشراف والنبلاء فى مجتمعاتهم .... **فتحرروا ، واستعادوا انسانيتهم ، وأعادوا تكوين مجتمعهم بعيدا عن سلطة الكنيسة ، ونفوذ رجال الدين !!**

وتقدموا فى المعرفة ، وبدأوا فيها مراحل الابداع والاختراع .. وبخاصة فى بحوث الطبيعة .

.... ولكنهم مع ذلك لم ينسوا الهزيمة التى لحقتهم ، تحت راية الصليب !! ولم ينسوا أيضا : أن المسلمين باسلامهم يكونون فى نظرهم

مجموعة من الملحدين ! وأن لهم خطرهم على الكنيسة ودينها !!! ولم ينسوا أخيرا : أن بلاد المسلمين تجمع خيرات العالم ، كما أنها المركز والملتقى لقاراته وشعوبه ، وأنه قد تملكهم الضعف من جانب آخر بسبب الفرقة المذهبية والطائفية ، وبسبب الشعوبية والعنصرية ، وبسبب التقليد فى الفصل فى الرياسة بين الدين والدنيا ، بين رجل الدين ورجل السياسة !!! وهكذا أصبح فى الحكم من لم يكن معروفا بفقهه وتقواه ، وأصبح يحمل علم الدين ولقب « **الفضيلة** » من ينافق بدينه صاحب السلطة من أجل دنيا يصيبها وهيهات أن يصيبها ، ومن يتعصب لمذهبه وليس لاسلامه ، ويتبع قول شيخه فى كتاب الله !!!.

أما « **المسلمون** » فكان نصرهم على الصليبيين بداية عصر انحطاطهم وتفتيت ملكهم ، وزوال سلطانهم كقوة لها حساب فى التوازن العالمى اذ ذاك !!

... صار أمرهم الى أحزاب ، وشيع ... وصارت أراضيهم الى دويلات ، وسلطنات ... وصار دينهم الى أقوال الفقهاء والمتكلمين ، قد يناوىء بعضها بعضا وينزل بعضها عن مستوى الحياة الانسانية حينا أو يحلق فوقها حينا آخر ، وبذلك لا يتجاوب مع الطبيعة البشرية وبالتالى لا يقدر على قيادتها !!! وشاعت الخرافة ، كما كثرت الفرق وتضاربت الأقوال !!!

... ونشرت **الشعوبية** ... فى فارس ، والعراق ، والشام، ومصر .. سمومها حقدها القديم على العرب ، والاسلام !!! ولوثت به ما بقى منصفاء الحياة الاسلامية الروحية ، فاختلقت الأكاذيب انتقاما من الاسلام ، وأنكرت ما تواتر ، وروجت ما لم يعرف ، لغاية الهدم وزيادة الضعف ، وتنفيسا عن مجد ضائع ، وعزاء على حضارة انتهت ولم تستطع أن تبقى على فاعليتها الى اليوم الذى تعيش فيه !!!

عن هذه القوة الجديدة الدافعة لدى الصليبيين ، ونحو هذه الكتلة الممزقة للمسلمين ، اندفع **الاستعمار الغربى الصليبى الى بلاد الشرق ..** بلاد الثروة المادية ، بلاد الشمس التى لا تغيب عن خيرات الدنيا كلها ، بلاد الكنوز الدفينة والبحار الدافئة والأرض الخضراء والمحاصيل الزراعية المتنوعة الوافرة ، والتى لا تنفد !!! اندفع الاستعمار ليعمر فى بلاده الأصيلة، بقدر ما يحصل من أرضه الجديدة ... وليكون لشعوبه الثروات ، بقدر ما يصيب شعوب المستعمرات من الحرمان ... ويجد بقدر ما يستغل ... ويجرب للعلم بقدر ما يحول بينه وبين من عداه : ممن استضعفهم فأضعفهم، واستذلهم فأذلهم ... **وهم المسلمون !!**

وكانت أولى مراحل الاستعمار : فى الابقاء على ضعف المسلمين وفرقتهم وعلى حزبيتهم الطائفية والشعوبية ، حملته على «**القيم الاسلامية**» ، وهجومه على الاسلام كدين ، كى يخف وزنه فى نفوس المؤمنين به، والناشئين فى بيئاته المختلفة ... ثم حملته الأخرى لتوسيع أمور الطائفية — بعد تعميق الفجوة فى القديم منها ، واثارة نزعات جديدة من الشعوبية والعنصرية فى الأمة الاسلامية — بعد العمل على زيادة الهوة فيما كان قائما بالفعل منها !!

وتجسدت هذه المرحلة فى عمل : « **الاستشراق** » و « **المستشرقين** » والاستشراق « **معادلة** » .. تساوى : « **الانتقاص** » **من التعاليم الاسلامية** وتقليل اعتبارها ، وخلق « **الفرق** » **الاسلامية** — بالاضافة الى ما سبق منها ، على أساس من : تأويلات مستحدثة ، واحياء لهجات كانت مدروسة ، وشد البصر الى ما يسمى بحضارات **اقليمية** شعوبية ، أو عصبيات قبلية مزمنة !!

والمستشرقون ... هم رجال « **العهد القديم** » ، وحملة الصليب فى « **الكنائس** » أولا ، انتقلوا بعدها الى « **الجامعات** » ليكونوا علماء ، وليباشروا البحث العلمى فى التراث الروحى والثقافى والحضارى لشعوب الشرق — وبالأخص لمنطقة الشرق الأدنى ، **لحساب السياسة الاستعمارية فى وزارات الخارجية الغربية ... وبالتالى لحساب المؤسسات والشركات الصناعية والتجارية الأوربية(١) !!**

وتلت هذه المرحلة مرحلة أخرى : فى سبيل المحافظة على ضعف المسلمين ، وعلى بقائهم موضوعا للاستغلال البشرى والاقتصادى ، وفى دائرة التبعية للفكر الغربى ، وتوجيهه .. **هى مرحلة «توطين الفكر العلمانى» فى المجتمعات الاسلامية .**

* * *

والكتاب الذى نقدم له اليوم : « **الفكر الاسلامى والمجتمع المعاصر : مشكلات الحكم والتوجيه** » يعرض لبعض الجوانب التى حاول **الفكر الغربى العلمانى** توطينها فى مجتمعات المسلمين ، ويشاركه الآن **الاتجاه الآخر الماركسى اللينينى** الالحادى فى مطاردة القيم الاسلامية فيها ، حتى تخلص تبعية هذه المجتمعات : اما الى الغرب أو الى الشرق ... أو تبقى فى عماء

---

(١) كتابنا « الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى » يتيح الفرصة للتعرف على نشاط الاستشراق والمستشرقين فى الشرق الاسلامى تحقيقا لمصلحة الاستعمار ، والصناعة الغربية .

وفوضى أيديولوجية ، وقتا لا يعلم مداه ولا نتـائجه ، لا تكاد تجد الطـريق لتعود الى أصالتها واستقلالها !!!

والكتـاب يصل فى عرضه لهـذه المشـاكل ، وظروفها ، وآثارها .. **الى بعض النتائج :**

أولا : ان الوطنيين الذين مارسوا الحكم ، فى مطالع مرحلة استقلال الشعوب الاسلامية سياسيا فى افريقيا وآسيا ، لم يكونوا فى وضـع يمكنهم من اعادة التقييم لنظم المجتمع : قديمها الأصيل وجديدها الطارىء واختيار الأصلح من بينها .

وذلك بسبب : أنهم يعيشون فى غمرة الوقت الحاضر وحده ، متأثرين بنشأتهم العلمانية ، التى تدفعهم دفعا فى لهفة وشوق الى التقليـد الغربى فى كل حالة ، حلوه ومره على السواء !.. ومتأثرين كذلك بالصورة الأخرى التى كونتها عندهم هذه التنشئة الخاطئة عن الاسلام ، وهى صورة تجعل الاسلام رهيبا ، يخشى منه على التقدم العلمى ، وعلى الحضارة الانسانية المعاصرة !!

فليست لتنشئتهم صلة قوية بماضى المجتمعات التى يمارسون الحكم فيها ... ولا تعطيهم الفرصة أيضا ليكون لديهم تخطيط لمستقبلها ، فى ضوء تاريخها والعوامل الأصيلة لها !! وانما تجمعهم فى هذه التنشئة على التبعية للفكر الغربى وتمجيد الحضارة الغربية ، والنقل منها ومحاكاتها ، والحرص على ما ينقل أو يحاكى !!!

والفكر الغربى ، أو الحضارة الغربية ، لاينبغى أن يفهم منها فحسب : حضارة **الكتلة السياسية الغربية** وتفكيرها ... ذلك أن **الماركسية اللينينية الالحادية تفكير** غربى ، والحضارة الشيوعية حضارة غربية ، تأسست على ايديولوجية غربية ، وقام بها مفكرون من الغرب .

ثانيا : انه لابد أن تمضى فترة ، وأن تمر بالمجتمعات الاسـلامية أحداث كثيرة ، يمكن بعدها أن تراجع هـذه المجتمعات المعايير والمقـاييس للحياة فيها ، واختيار ما يجب أن يكون من بينها لصالح أفرادها .. بحكم حتمية الأحداث نفسها .

وسواء اتجهت هذه المجتمعات ... الى :

الوطنية المحلية

... أو القومية الغربية

... أو الى الرأسمالية

... أو الاشتراكية

وسواء ظفرت :

بمعاونة الشرق أو الغرب

... أو اختارت عدم الانحياز

سواء أكان هذا أم ذاك ... من المواقف السريعة ، التى تقوم على تقدير الوقائع الجزئية المباشرة ، التى لا غنى عن مواجهتها والاجتهاد فى اختيار أسلمها عاقبةوأهونها ضررا .. فانه لابد فى النهاية أن تتبين **المجتمعات الاسلامية** — ومن بينها **المجتمعات العربية** — بعد فترة من الزمن .. ماهية الرباط الذى يجب وينبغى أن تلتف حوله القوى المشتتة :

اهو رباط السياسة ؟

أهو رباط الفلسفة ، والأيديولوجية الانسانية ؟.

اهو رباط المكان والتراب ؟

.. أم هو رباط الايمان والعقيدة ... رباط التاريخ الذى صنع هذه المجتمعات ... رباط الكفاح من اجل القيم ، والصراع من اجل الرسالة التى نيطت بها ... رباط الاسلام ؟

ثالثا : قد نجح الاسلام — فيما مضى — فى تذويب الشعوب المؤمنة به ، فى أمة واحدة ، وفى تحويل لغاتها الى لغة كتابه الكريم ... فهل ينجح الاسلام من جديد فى اعادة تجميع ما فتتته الأحداث الماضية ... وتحويل الضعف الى قوة ؟

استطاعت **الثقافة الانجليزية** فى عصر العلم والتقدم الصناعى ، أن تذيب شعوبا ، بعضها فى بعض ، وتربطها بالشعب الأم : بانجلترا وبلغتها الانجليزية !

واستطاعت **الثقافة الفرنسية** فى عصر العلم والتقدم الصناعى ، أن تذيب شعوبا متباعدة ، بعضها فى بعض ، وتربطها جميعا بالشعب الأم : بفرنسا وبلغتها الفرنسية !

واستطاعت **الثقافة الروسية الماركسية اللينينية** الالحادية فى القرن العشرين بالذات وفى عصر العلم والتقدم الصناعى ، أن تذيب شعوبا مختلفة

تمام الاختلاف بعضها فى بعض ، وتربطها جميعا بالشعب الأم : بروسيا وبلغتها الروسية ، ثم بالولاء لموسكو العاصمة الأولى !!

فهل تستطيع ثقافة الاسلام وايديولوجيته ، وهل يستطيع : الايمان بالله .. هل تستطيع جميعها ان توحد ــ بعد تفرق ــ شعوبا هى مؤمنة بالاسلام أصلا منذ قرون عديدة ، وتاريخها تاريخ واحد ، ولغتها فى الايمان والعبادة لله لغة واحدة ؟؟

ورابعا : ان مرور فترة قد تطول على المجتمعات الاسلامية المعاصرة ، قبل مراجعة مقاييس الحياة فيها ، أمر حتمى وضرورى ... **لأن النصح قبل التجربة قلما يجدى كثيرا** ، وان الخداع ببريق حياة الغرب لدى الساسة الموجهين فى المجتمعات الاسلامية لم يبلغ بعد قمته ، حتى يعود فينكشف ويفصح عن حقيقته من جديد ، وحتى يبدأ الاقتناع فى هذه المجتمعات ذاتها بضرورة الأخذ بالمقومات الأصيلة لها فى سياستها وتوجيهها !!

... ان القيمة الذاتية التى تتجلى للاسلام اليوم ، فى مواجهة الفلسفة التى قام عليها اتجاه (العلمانية) ، أو الأخرى التى قام عليها (الاتجاه الماركسى اللينينى الالحادى) لا تكفى وحدها للاقتناع ، وللتحول الى اتجاه النظام الاسلامى والايديولوجية الاسلامية !!

ولكن الزمن ، والتطورات الفكرية والاجتماعية ، والاحتياجات النفسية والمادية ، هى الكفيلة بالتبصير والتنوير .. وهى وحدها التى سترغم على القاء القناع بعيدا ، كى لا يحجب النظر ... كما ترغم على كشف :

ان السراب لم يكن ماء ، حتى يتجه اليه الظمآن ليروى ظماه !!

« فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس : فيمكث فى الأرض » (الرعد : ١٧) .

صدق الله العظيم ... وهو وحده الهادى الى سواء السبيل .

مصر الجديدة ربيع الثانى ١٣٨٥
اغسطس ١٩٦٥

محمد البهى

* * *